الشرق الروماني من وجهة نظر صينية*

داڤيد ف. غراف بمساعدة ادوارد ل. دراير
جامعة ميامي - فلوريدا - الولايات المتحدة الأمريكية
ترجمة: هزار عمران

بقيت معرفة الغرب لآسيا الوسطى والشرق الأقصى محدودة، على الرغم من ازدهار التجارة في العصر الروماني مع الشرق، فقد ظهرت الصين لأول مرة تحت اسم Thina في وثيقة Periplus Maris Erythraei (٦٤) العائدة الى أواخر القرن الأول الميلادي[١]، أما كلمة Seres المشتقة من الكلمة الصينية ssu (Silk الحرير) فقد ظهرت قبل ذلك في المصادر الهيلينيستية والرومانية المبكرة وعنت سلالة هان Han، التي كانت، برأي الأغلبية، قبائل سيبيرية عملت كوسيط[٢] في تجارة الحرير القادمة من الصين، ويصفهم بليني كأشخاص ذوي شعور ذهبية وعيون زرقاء (NH VI, 88)، ولكن، ومع حلول القرن الثاني الميلادي، وصفت جغرافية بطليموس المدن في سيريكا وصنفتها، بما فيها مدينة سيزا (VI, 16)، ووسعت معلومات الغرب عن الشرق الأقصى، ثم زادها التاجر السوري مايس تيتيانوس الذي أرسل عملاءه على طريق الحرير حتى تاشكورغان وحفظ سجلاتهم مارينوس الصوري وضمها الى جغرافية بطليموس (XI. 40-8).

ساد المفهوم الغامض نفسه فكرة الشرق الأقصى عن العالم الغربي، وقد حفظته لنا السجلات الصينية المعروفة بأسماء Shih chi ومختصرها SC، «السجلات التاريخية»، وهي تعطي تاريخ الصين حتى عام ٨٦ ق.م و[Ch'ien] Han shu ورمزها CHS، «تاريخ سلالة هان [الرسمية]» ويغطي الفترة ما بين ٢١٠ ق.م الى ٢٣م و Hou Han shu ورمزها HHS، «تاريخ سلالة هان المتأخرة»، وتغطي الفترة ما بين ٢٣م وحتى ٢٢٠م و San Kuo chih ورمزها SKC، «وصف الممالك الثلاث»، وهو يغطي الفترة ما بين ٢٢٠ وحتى ٢٨٠م، وتعتبر هذه السجلات جزءاً من السجلات الـ ٢٤ التي تتحدث عن تاريخ الصين والمعروفة باسم السجلات الرسمية أو الموثوقة، وقد أعيدت طباعتها مراراً وأضيفت لها حواشٍ كثيرة، ويحتوي الفصل الثلاثون من SKC على أحداث من Wei lüeh ورمزها WL، «ملخص سلالة Wei» احدى الممالك الثلاث في SKC التي حكمت من ٢٢٠ الى ٢٥٦م، وقد عرفت منطقة الغرب باسم Li-kan (وأحياناً Li-chien و Li-hsien) ثم باسم Ta-ch'in[٣]، وقد كان فردريك هيرث (١٨٨٥)[٤] رائداً في مجال البحث المنتظم في تحديد الأماكن الغربية التي وردت في هذه السجلات ثم تابع عمله كل من كوراكيشي. شيراتوري (١٩٠٤ - ١٩٣١) والبرت هيرمان (١٩٤١)[٥]، كما عمل في نفس الموضوع كل من ا. شاڤان (١٩٠٥-١٩٠٧) و ب. بيلليو (١٩١٥-١٩٢١) المتخصصين في الثقافة الصينية، وبعدها توقفت المحاولات حتى البسيطة منها، وهذا هو سبب تقديمي لهذه الدراسة.

يفسر هيرث والرواد الأوائل كلمة Ta-ch'in (Ch'in العظيمة) على أنها تعني القسم الشرقي

الروماني، وعلى الرغم من أن Ch'in كانت تعني الصينيين منذ بدايات القرن الثاني الميلادي، إلا أن كلمة Ta-ch'in يمكن أن تفهم على أنها الانعكاس الغربي للصين[٦]، وقد لاحظ شيراتوري أولاً ثم تبعه آخرون أن وصف Ta-ch'in يشبه وصف المدينة الفاضلة وأنه يمثل عالماً دينياً خيالياً[٧]، الا أن ذلك لم يمنع شيراتوري من احترام الاطار التاريخي لوصف Ta-ch'in لأن الأجزاء الاسطورية تكون عادة شديدة الوضوح وهذا ما يمنع أي لبس أو خطأ.

شارك معظم الباحثين هيرث في تفسيره لموقع Ta-ch'in على أنه القسم الشرقي الروماني، لكن بعضهم أعطى تفسيرات أخرى لم تكن مقنعة، فهيرمان افترض أن Ta-ch'in تعني العربية السعيدة (اليمن) وافريقيا الشمالية معتمداً في افتراضه ذاك على أنواع مواد التجارة كالبخور والألوة والمر التي تستورد من تلك المناطق[٨]، لكن خطأه الرئيس كان في عدم اعتباره أن المصادر الصينية في فترة هان تظهر عدم معرفتهم بشبه الجزيرة العربية كما أن استيراد هذه المواد غير مؤكد، وقد أخطأ هيرمان في تفسيرات أخرى كموقع Li-kan في هركانيا بدل غرب An-hsi (بلاد فارس)[٩]، ولا تقنعنا الافتراضات الأخرى مثل تعريف نقطة المرجع الجغرافية الصينية بالبحر الأسود وبالتالي تعريف Ta-ch'in كبيزنطة[١٠]، ولم تلاق مثل هذه الفرضيات تأييداً لأسباب سنوضحها لاحقاً كما لم تسلم فرضيات هيرث من النقد الشديد غير المنصف[١١] كما اعتقد، وساقوم ببحثي هذا بتوضيح الأماكن والمدن في Ta-ch'in وسأحاول انصاف هيرث.

اتصال الصين مع الغرب :

يحتوي كل من المرجعين الصينيين HHS و WL أغلب الوصف المفصل لأرض Ta-ch'in، كما يوضح مرجع CHS بالاضافة الى المرجعين السابقين الاسم السابق لأرض Ta-ch'in وكان Li-kan، وأغلب المعلومات الموجودة فيها عرفت من بعثات الاستكشاف الرسمية لتلك المناطق التي أرسلتها سلالة هان ومن البعثات الدبلوماسية ومن الأسفار، وأهم الأمثلة على هذه النشاطات ما يلي:

١- البعثة الدبلوماسية المؤلفة من أكثر من مئة رجل الى الغرب الأقصى برئاسة Chang Ch'ien الموظف الرسمي[١٢] في البلاط الامبراطوري في عهد الامبراطور Wu Ti (١٤١-٨٧ ق.م) مهمتها تجنيد الـ Yüeh-chieh (السكثيين) ضد أعدائهم القدامى Hsiung-nu[١٣]، وقد وصلت البعثة، عام ١٣٨ ق.م، الى فرغانة (Ta-yüan) في وسط آسيا، وبعد عقد من التعب والمشقة وصلت الى بلاد الصغد (K'ang-chü) و (Ta-hsia) Bactria حيث يقيم Yüeh-chih، ورغم فشل Chang ch'ien في اقناعهم باستئناف صراعهم مع Hsiung-nu، الا أنه جمع معلومات جمة، خلال فترة المفاوضات، عن البلدان الغربية المجاورة، وفي تقريره الى الامبراطور عام ١٢٢ ق.م، وصف الهند (Shen-tu) وبارثيا (An-hsi) وجاراتها الغربية T'iao-chih و Li-kan القريبة من البحر الغربي[١٤]، وفي عام ١١٥ ق.م، أرسل Chang Ch'ien مندوبين الى فرغانة وبلاد الصغد وباكتريا و Yüeh-chih والهند وبارثيا وقد عادوا، بعد وفاته، من آسيا الصغرى عام ١١٤ ق.م ومعهم بعض من سكانها ونماذج من حيواناتها ونباتاتها وتم وصف هذه البلدان المتنوعة بشكل مختصر مع تحديد اتجاهاتها ومواقعها.

٢- خضوع كامل منطقة حوض Tarim لسيطرة سلالة الهان الذين حكموها بسلسلة من الحصون على طول الطرق المؤدية الى الغرب بواسطة جنود محليين مجندين لصالحهم[١٥]، خلال فترة حكم الجنرال Pan Ch'aos المدعو حامي المقاطعات الغربية (٩١-١٠١م)، وفي عام ٩٧م، أرسل Pan Ch'aos السفير Kan Ying الى منطقة Ta-ch'in الذي، ما إن وصل الى T'iao-chih واستعد لقطع البحر العظيم الى Ta-ch'in، حذره البحارة على الحدود اليسرى لبارثيا من مخاطر هذه الرحلة وطولها، فانهى مهمته وعاد دون الوصول الى غايته، لكنه، وخلال رحلته، استطاع جمع معلومات لا بأس بها عن Ta-ch'in وولاياتها وأضاف تقريره الى أرشيف Pan Ch'ao، ثم تم ضم هذا التقرير الى (ch. 78 of the lieh-chuan = Hirth ch. 88 HHS D-E, and ch. 118 Chavannes)، ولما كان والد الجنرال الهاني Pan Piao وشقيقه الأكبر Pan Ku وشقيقته Pan Chao هم من صنّف الـ Ch'ien Han-shu

حيث ذكرت مهمة Chang Ch'ien الأولى، فإننا ندين بمعارفنا الجغرافية الأولى عن الغرب الأقصى لعائلة المتميزة نفسها.

٣- العديد من البعثات الدبلوماسية من البلدان الغربية التي تظهرها سجلات HHS وWL والتي أعطت معلومات اضافية عن أرض Ta-ch'in، فقد أرسلت بارثيا (An-hsi) الى البلاط الهاني عام ٨٧ و ١٠١م بعثات تحمل هدايا من الاسود والحيوانات النادرة والطيور (شاڤان ص ١٧٧ و١٧٨ =HHS 118.12) وبين عامي ٨٩ و١٠٥، وهي الفترة التي ازدهرت فيها التجارة بين الهند والامبراطورية الرومانية، أرسلت الهند (She-tu) الى البلاط الصيني الهاني بعثات محملة بالهدايا المتنوعة (HHS 118.16 =Chavannes 193-194)، وفي عام ١٢٠م، أرسل ملك Shan (على حدود Burmese) بعثة كان فيها موسيقيون ومشعوذون وكان بإمكانهم «أن يقدموا ألعاباً سحرية ويقذفوا بالنار وأن يثنوا أطرافهم وأن يغيروا رؤوس البقر والخيل وكانوا ماهرين بالرقص وبين أيديهم ألف كرة»، وقد قدموا أنفسهم على أنهم من «غرب البحر» من Ta-ch'in، وفي احتفالات رأس السنة (١٢١م) عزف هؤلاء الموسيقيون في البلاط الامبراطوري (HHS ch.86 = Hirth C2-4)، وفي عام ١٣٤، طبقاً لـ WL، قدم ملك Su-li (Kashgar) ووزيرها الى البلاط الهاني حزاماً ذهبياً مرصعاً بالأحجار اللازوردية من Hai-hsi أي الأرض الواقعة غرب البحر الكبير حيث توجد Ta-ch'in (Hirth, p. 48)، وكان بإمكان أي من هذه البعثات نقل المعلومات عن البلاد الغربية وراء بارثيا.

٤- ارسال بعثة من ملك Ta-ch'in المسمى An-tun من Jih-nan (Annam= فييتنام) الى البلاط الهاني بهدايا من العاج وقرون وحيد القرن وأصداف السلاحف في السنة التاسعة من Yen-hsi الخاصة بحكم الامبراطور Huan-li أي عام ١٦٦م، كما جاء في سجلات HHS، (ch.88=Hirth E33; ch.118, 14 = Chavannes 185)، وقد عرّف هيرث الامبراطور An-tun على أنه ماركوس اوريليوس (انطونينوس) الا أنه قرر أن البعثة لم تكن رسمية وأن اعضاءها كانوا من تجار المشرق ووافقه على ذلك المختصون بالثقافة الصينية والكلاسيون[١٦]، كما شك Fan Yeh مصنف HHS، بشرعية البعثة طالما لم يتم ذكر أي من الاحجار الثمينة في قائمة الهدايا المرسلة من Ta-ch'in المشهورة في الصين بجواهرها الاسطورية[١٧]، ولاحظ Raschke أنه لم يتم ذكر سوى امبراطور واحد في حين كان هناك اثنان من الاباطرة في ذلك الوقت، لوسيوس فيروس وماركوس اوريليوس يحكمان في الشرق[١٨]، ولذلك افترض أنه كان يجب ذكر إما فيروس فقط أو الاثنين معاً ولكن حتى اليهود الحشمونيون اعتقدوا بحاكم واحد للرومان (I Macc. 8.16) رغم قربهم من روما. وتجدر الاشارة الى أن أولئك المبعوثين المزيفين كانوا يعملون في Jih-nan (فييتنام) ومنها أرسل المبعوثون الهنود الهدايا الى الصين أعوام ١٥٩ و ١٦١ خلال الفترة التي ازدهرت فيها العلاقات التجارية مع الرومان[١٩].

وقد كان لاكتشاف ميدالية تعود لانطونينوس التقي عام ١٥٢م وأخرى قد تعود لماركوس اوريليوس في Oc-eo قرب سايغون الأثر في تأكيد العلاقة التجارية بين الرومان وهذه المنطقة[٢٠]، وعلى الرغم من الشك حول تلك البعثة الا أن HHS اعتبرها اول اتصال مع Ta-ch'in.

٥- توجه تاجر اسمه Ch'in Lun الى Chiao-chih (فيتنام الشمالية كمقاطعة صينية)، بعد انهيار سلالة هان، حيث قابل حاكمها الذي أرسله الى الامبراطور Sun Ch'üan مؤسس سلالة Wu في Chin-ling (نانكين)، وقد استفسر الامبراطور عن بلد التاجر الغربي وعن أهلها، ثم أُعد تقرير بهذا الخصوص وسلم الى الامبراطور الذي أهدى التاجر عشرين قزماً زنجانياً (وهو عرق نادر في Ta-ch'in) ثم عاد التاجر الى بلاده، وقد تم تأريخ هذا الحدث في السنة الخامسة من عصر Huang-Wu في أثناء حكم Sun Ch'üan، أي في عام ٢٢٦م وحفظ في الـ Liang shu [ch. 54.22a-b=Hirth H] الذي صنف فيما بعد في القرن السابع[٢١]، كما أرسل حاكم Chiao-chih في الفترة بين عامي ٢٢٦ و٢٣١ مبعوثين رسميين الى الجنوب وبعدها أرسلت الجزية من T'ang-ming (شمال

كمبوديا) وFu-nan (ميكونغ السفلي في كمبوديا) وLin-i (مملكة Cham في الجزء الجنوبي من فيتنام) الى الامبراطور SKC 60 [Wu 15], 9a) Wu)[٢٢]، ونجد في Liang shu أن تجار Ta-ch'in كانوا فعالين في Funan وJih-nan وChiao-chih وتثبت زيارة Ch'in Lun الى المقاطعات وبلاط سلالة Wu الاتصالات المباشرة بين سكان الصين وسكان Ta-ch'in، لكننا لا نجد أي دليل على التبادل الثقافي قبل القرن السابع والأدلة الموجودة في Liang shu عن علاقات مبكرة غير دقيقة.

انتهت سيطرة الهانيين على المقاطعات الغربية في منتصف القرن الثاني الميادي، وقد اعتمد الوصف الصيني المتأخر للمقاطعات الغربية (المسماة Hsi yüchuan) على نتائج الدراسات الأولية المحفوظة في HHS وWL، وكانت أغلب أوصاف Ta-ch'in مأخوذة عن بعثة Kan Ying في القرن ٩٧م (رقم ٢) ولم تلبث أن أضيفت لها مقاطع جديدة مأخوذة على الأغلب من الاتصالات اللاحقة مع الغربيين (الموجودة في أرقام ٣-٥)، كما يشير Fan Yeh أن وصفه للغرب الموجود في HHS يعتمد على تقرير Pan Yung ابن Pan Ch'ao الذي تأخر استلامه حتى نهاية حكم الامبراطور الهاني An (١٠٧-١٢٥م) ولما كان الوصف الموجود في WL أطول وأكثر تفصيلاً من ذاك الموجود في HHS، كان من الممكن الافتراض أنه يحوي المعلومات التي وصلت بعد بعثة Kan Ying وتقرير Pan Yung، واذا عرفنا أن HHS مؤلف شكل أساسي من السجلات بين ٢٢٠ و٢٦٥م، تأكدنا أن HHS يتفوق على WL في مجال الوصف الخاص بالعصر الأمبراطوري الروماني المبكر، لكن WL يحوي المعلومات الأساس عن Ta-ch'in، وهكذا يكون HHS ملخصاً عن WL مع بعض الاضافات الخاصة بفكرة الصين عن المجتمعات الطوباوية وتقرير بعثة ماركوس اوريليوس عام ١٦٦م، وعلى الرغم من تشابه الموضوعات إلا أن WL هو الذي حفظ العناصر القديمة ونفترض أن Fan Yeh، مصنف HHS في القرن الخامس، أو مصادره، قد لخص وصف Ta-ch'in الموجود في WL الذي صنفه Yu Huan في وقت أبكر، ويؤكد غياب أحداث عام ١٦٦ وذكر بعثة Su-li (كشغر) عام ١٢٠م في WL أن أحداثه قد أخذت من مصادر مبكرة تعود الى الفترة ما بين ٩٧م الى ١٣٤م في حين أخذ HHS عن تقارير تعود الى الفترة ١٢٥م الى ١٦٦م أو أكثر[٢٣]، اذاً تتضمن رواية WL العناصر الأساسية في تقرير Kan Ying عام ٩٧م ويجب أن تعطى الأفضلية على HHS رغم احتواءالاثنين على الأوصاف الموثوقة لـ Ta-ch'in.

تتجلى مشكلة أخرى خاصة بأسماء المدن والأماكن في Ta-ch'in الموجودة في WL، فالتقارير الأصلية المقدمة من Chang Ch'ien و Kan Ying و Pan Yung هي جزء مما يسمى hsi أو « ارسالية عسكرية »، وقد كانت مثل هذه الوثائق الرسمية (ts'e) تكتب على مجموعة من قشور الخشب المجموعة معاً بالحبال[٢٤]، واحتمال الخطأ وارد خلال ترجمة مثل هذه الملفات من قبل الكتاب والمصنفين المتأخرين وخاصة أن الأسماء غير مألوفة لهم، وفي أثناء اعادة نسخ مخطوطات HHS و WL عبر السنين، وهنا تظهر أهمية اعادة وتصحيح النص وحل الأسماء الغامضة مع مراعاة الاتجاهات والمسافات دون الجنوح الى تغيير النص الأساس بحجة التصحيح[٢٥]. وسنحاول فيما يلي تحديد الأماكن في قصص Ta-ch'in مع معرفتنا بأننا سنتعرض للنقد وسنكون موضوعاً للمراجعة.

T'IAO - CHIH :

وصل المبعوث Kan Ying، كما هو وارد في HHS (ch.88/118) الى T'iao-chih على شاطئ البحر العظيم عام ٩٧م (Hirth D 19-20) وتوصف T'iao-chih في WL على أنها ولاية مستقلة على حدود An-hsi (بارثيا) الغربية ونجد معلومات اضافية عنها في CHS (ch. 96a, 6) ومعلومات جغرافية في HHS تحدد موقع عاصمتها في شبه جزيرة صغيرة تمتد داخل البحر العظيم وتتصل المدينة بالأراضي المجاورة عبر طريق يمتد الى الشمال الغربي ويتابع الى الشمال ثم الى الشرق مسافة ٦٠ يوماً حتى يصل الى عاصمة An-hsi وعلى الرغم من أن T'iao-chih ومدن أخرى صغيرة كانت خاضعة للحاكم العسكري في An-hsi إلا أن HHS تؤكد أنها كانت سابقاً ولاية مستقلة (D 1-9). تفترض مثل هذه التفاصيل الجغرافية أن T'iao-chih

تقع في مكان ما من بلاد الرافدين الدنيا على الخليج العربي ويضعها تعريف هيرث، كمنطقة Bahr-Nadʃef غرب الفرات وجنوب بابل القديمة، على مسافة من الخليج[٢٦]، لكن افتراضه هذا لا يرتكز على أية معطيات خاصة بفقه اللغة كما لا يعتمد كثيراً على الجغرافيا، ويفترض شيرا توري أن T'iao-chih هي سباسينو خاركس وعلى الرغم من أن تفسيره اللغوي غير مقنع، فهو يفترض أن اللفظ الصيني القديم لـ T'iao-chih كان d'eu-ki عن كلمة الجزيرة العربية التي تعني الجزء الأسفل من بلاد الرافدين، إلا أنه لم يلبث أن تخلى عن هذا التفسير وافترض أن اسم T'iao-chih (diau-ki) كان محاولة لترجمة اسم انطاكية الأسم القديم لسباسينو خاركس[٢٧]، لكن ذلك يقتضي اغفال الجزء An من الكلمة الذي يظهر في أماكن أخرى في كلمة انطاكية .An-tu, Hirth I 2 and Q 3; cf) «أنطونيوس» =An-tun, Hirth E 33 مما يصعب قبول تفسيره، ويفترض آخر أن T'iao-chih تعني العرب لأن الفرس دعوا العرب بـ Tajik (Tāsi) ودعاهم الصينيون فيما بعد Tachih (قد تكون مشتقة من Tayyi)[٢٨] لكن كلتا الفرضيتين صعبة الاثبات، والاحتمال الأقرب أن T'iao-chih هي كلمة دجلة (إيدجلات الآشورية البابلية: وتيغرا الفارسية القديمة)، ويدعم وجهة النظر هذه أن وادي نهر الغانغ موجود في ch. 188/32 CHS) (ab يلفظ Huang-chih وهذا يعني أن اللفظ chih في اسم T'iao-chih كان يلفظ ga خلال فترة هان[٢٩] وهكذا نفترض أن T'iao-chih هي النقل الصيني للفظ الفارسي تيغرس[٣٠]، وكما تعني اللفظة الصينية Ganges المملكة الموجودة على شاطئ البحر الهندي، كذلك تعني T'iao-chih المملكة الموجودة على شواطئ دجلة قرب شواطئ الخليج العربي، كما نجد في الروايات الصينية المتأخرة عن بلاد فارس التي رواها MA Tuan-lin (Po-ssū ch. 339/6) أن المنطقة الواقعة جنوب Su-li على ضفاف Ta-ho-shui (تعني سلوقية الواقعة على دجلة) قد اندمجت مع T'iao-chih القديمة[٣١] وجميع هذه المناطق يمكن أن تكون قد خضعت سابقاً لحكم سباسينو خاركس، المدينة الرئيسية في منطقة دجلة الدنيا.

تقع سباسينو خاركس على شط العرب وقد سيطرت على المقاطعات الشاطئية المهمة وعلى الجزر القريبة في الخليج وقد أسسها الاسكندر الأكبر تحت اسم اسكندرية دجلة، لكن الحكام السلوقيين اسموها باسم انطاكية خاركس في القرن الثالث وقد يكون انطيوخوس الرابع (Pliny, NH VI, 138-141)، ثم أصبحت عاصمة «الولاية الفارسية على البحر الأريتيري»[٣٢]. ومع فتح البارثيين لبابل عام ١٤١ ق.م خسر السلوقيون حكمهم لبلاد الرافدين الدنيا، ثم قام سباوسينيس، المزربان السلوقي الرسمي على انطاكية خاركس بمحاولة لاعادة السيطرة على المدينة وفي عام ١٢٧ق.م أعلن نفسه ملكاً عليها وأعاد تسمية المدينة باسمه سباسينو خاركس، عاصمة منطقة ميسان (عن الآرامية)[٣٣]، لكن المدينة فقدت استقلالها عندما قام الملك البارثي اولوشيا الأول بالاستيلاء عليها عام ٧٣م وخلع ملكها اتانبيلوس وعين Orabzes الأول كملك صوري عليها، وبين اعوام ٨٠-١١٠م حكم المدينة والٍ من قبل الملك البارثي باكوروس الثاني، وفي هذه الفترة، على الأغلب، زار Kan Ying منطقة T'iao-chih ولذلك كتب في تقريره أنها مقاطعة من بارثيا[٣٤]. ويغفل هذا التحليل أن تقرير Chang Ch'ien عام ١٣٨-١٢٢ق.م يظهر أنه سبق لبارثيا أن احتلت T'iao-chih[٣٥]. ويكرر مراجعا WL و HHS معلومات هذا التقرير دون أن تزيد عليها المعلومات الحديثة من تقرير Kan Ying عام ٩٧ فيما يخص الوضع السياسي لمدينة خاركس في ذلك الوقت.

لقد أصبح واضحاً لنا الآن أن مناطق نفوذ خاركس كانت واسعة خلال العصر الامبراطوري الروماني المبكر منها فرات الواقعة على الجزء الأدنى من دجلة وأفامية قرب ملتقى النهرين (Pliny, NH VI, 145-146)، كما يمكن أن نضم لها تيريدون قرب منبع الفرات (Strabo, Geog, XVI.3.2 [765]) وابولوغوس (PME 35)، وحكمت خاركس الجزر الرئيسة في الخليج العربي لتسيطر على التجارية الآتية الى بلاد الرافدين عبر البحر، وكان أغلب الموظفين تدمريين وهذا ما يفسر اعتماد تجارة تدمر الشرقية على البحر أكثر من اعتمادها على البر[٣٦]، ففي عام ١٣١م كان مرزبان جزيرة تيلوس (البحرين) تدمرياً تابعاً لمهردات ملك خاركس (Inv. X, 38) وكذلك كان الموظفون في

جزر ايكاروس (فيلكة) وخرج وكانوا يسهلون أعمال التجار التدمريين وبعض المجتمعات الأخرى في المنطقة[٣٧]، وقد تغلغل التدمريون أيضاً في فرات وميسان وعملوا بنفس الكفاءة على الشواطئ وفي الداخل[٣٨]، ومن المحتمل أنهم كانوا من زود Kan Ying بالمعلومات عام ٩٧ خلال زيارته لـ T'iao-chih.

المناطق الغربية :

يصف HHS و WL المناطق الغربية و Ta-ch'in بأنها غرب T'iao-chih، وقد نوقشت هذه المصادر الصينية بالاعتماد على الخارطة الحالية في محاولة لمعرفة التفاصيل الجغرافية بدلاً من محاولة فهم التقارير الخاصة بالمناطق الغربية على أساس النظرية العرقية الصينية. وهنا يجب أن نؤكد على أهمية ملاحظة شيراتوري في أن الأراضي الغربية كانت، في المراجع التاريخية الخاصة بالهان والـ Wei، مقسمة الى ثلاث مناطق: Hai-hsi (غرب البحر) و Hai-pêi (شمال البحر) و Hai-tung (شرق البحر) وهذا يدل على أن الصينين في عصر هان لم يعرفوا بوجود شبه الجزيرة العربية[٣٩]، فقد اعتقدوا أن البحر الكبير المجاور للشواطئ الفارسية كان يمتد باتجاه الغرب مشكلاً خليجاً واسعاً باتجاه شاطئ Ta-ch'in. وهذا الجسم المائي الواسع الخيالي أدى الى ذلك التقسيم، وخلف كل منطقة من المناطق الثلاث امتدت الجبال، ويبدو أن بحارة الخليج العربي كانوا مصادر Kan Ying، وقد بالغوا في وصف صعوبة عبور البحر العظيم وكتموا وجود شبه الجزيرة العربية واصفين المنطقة على أنها جزء من الجسم المائي الكبير الذي يحيط بآسيا، في حين قدم الجغرافيون الاغريق واللاتينيون القدماء وصفاً دقيقاً لشبه الجزيرة العربية كأرض ممتدة بين البحر الأحمر والخليج العربي (Strabo Geog. XVI.3.1 [765]; Pliny, NH VI, 108, 143)، ويفسر نقص المعلومات الجغرافية سبب غموض معلومات المصادر الصينية حول الطريق البحري نحو Ta-ch'in، واغفالها لذكر أي محطة أو ميناء كما يظهر في PME، فكل ما تزودناه هو الاتجاه والوقت. ولا يوجد أي ذكر للمسافة بوحدة الـ Li أو حتى لاي اشارة عن تغير الاتجاه خلال الرحلة نحو شبه الجزيرة العربية. فـ Ta-ch'in يمكن الوصول اليها بالسفر على خط مستقيم من شواطئ T'iao-chih باتجاه الغرب، وهكذا عاد Kan Ying الى الصين بانطباع أن Ta-ch'in موجودة غرب أراضي Hai-hsi، وأن سيطرتها تمتد باتجاه شمال الخليج (Hai-pêi) وشرقه (Hai-tung)، أما جنوب هذه الأراضي فيمتد المحيط الواسع، ثم زادت المعلومات بعد سقوط سلالة هان المتأخرة، لكن الرحلة البحرية الى Ta-ch'in ظلت غامضة على الرغم من ازدياد الاحتكاك مع الغرب[٤٠]، أما بالنسبة لـ Kan Ying، فقد كانت المعلومات حول طريق البحر باتجاه Ta-ch'in ضئيلة وغامضة دون أدنى تلميح لوجود شبه الجزيرة العربية.

الولايات التابعة لـ Ta-ch'in :

ضمت Ta-ch'in عدداً لا يحصى من الممالك الصغيرة وأكثر من ٤٠٠ مدينة صغيرة وفقاً لـ WL، لم يتوضح منها سوى ست هي: Tsê-san و Lü-fen و Ch'ieh-lang و Hsien-tu و Ssū-fu و Yü-lo، تقع الثالثة والخامسة والسادسة في Hai-pêi في حين تقع الأخريات في Hai-tung حيث توجد مدن تابعة لـ An-hsi (Ssū-t'ao و Ssū-lo و Ssū-pin). وتزودنا الأوصاف الخاصة بمواقعها بمعلومات عامة، وفي معظم الأحوال يمكن أن نرجح أن أسماء هذه الولايات قد اشتقت من أسمائها الشرقية وليس من أسمائها الاغريقية واللاتينية طالما أن مصدر المعلومات مواطنون شرقيون، ويرتبط التعرف على أسماء هذه المدن وربطها بمواقعها الأصلية بالاعتقاد بأن Hai-pêi هي الأرض الواقعة غرب الفرات وأن Hai-tung هي بلاد الرافدين أو بمعنى آخر: «بابل» و «ماوراء النهر».

١ - تقع Tsê-san في وسط البحر قرب الميناء البارثي الحدودي An-ku في An-hsi، ومنهما يمكن للمرء أن يبحر الى Ta-ch'in (Hirth, p.58-61). ولم يُعرف عدد الـ Li من Tsê-san، لكن الرحلة من An-ku باتجاه الغرب تستغرق شهرين اذا كانت الرياح مواتية وثلاث سنوات اذا لم تكن كذلك (Hirth, p.6).

طابق هيرث Tsê-san مع سباسينو خاركس مقترحاً

أن الاسم مأخوذ من اسم المدينة الأساس (الكسندريا)، وقد قرر شيراتوري في البداية أن اسمي T'iao-chih و Tsê-san هما ترجمة لنفس الاسم (جزيرة) وتعنيان سباسينو خاركس، لكنه قرر فيما بعد أن اسم Tsê-san هو محاولة لنقل الاسم العربي ميسان مفترضاً أن لفظ Tsê هو «خطأ كتابي»[٤١]، وهذا الافتراض يبدو الأفضل في تفسير الاسم، كما أن الوصف الجغرافي لميسان يتطابق تماماً مع التفاصيل الموجودة في المراجع الصينية عن Tsê-san، فمثلاً، وطبقاً للمؤرخ الروماني ديو كاسيوس (68.28)، كانت ميسان تحت حكم الملك اثامبلوس السابع عندما احتلها تراجان عام ١١٦م وكانت تقع على «الجزيرة الموجودة في دجلة»[٤٢]، كما كان سكان سباسينو خاركس يتبعون ملك ميسان، وتكلم بطليموس عن «خليج ميسان» (Geog. VI. 7)، وهذا دليل على شهرة المدينة خارج منطقة دجلة الدنيا والخليج العربي، وكنتيجة، يبدو أن أفضل تفسير لأسماء T'iao-chih و Tsê-san هو ميسان، وتبقى مشكلة توضيح اسم An-ku، فأوصافها تدل على أنها تقع على ضفاف Fars في الخليج العربي مما يجعل مطابقتها مع انطاكية الفارسية مغرياً لأن الأخيرة تقع قرب مقدمة الخليج قريبة من ميسان[٤٣]. ويمكن أن تكون قد عرفت فيما بعد باسم ايوناكا وهي مدينة ساحلية فارسية حدد بطليموس موقعها في الجوار[٤٤]، وكلا الاسمين: انطاكية الفارسية أو ايوناكا يمكن أن يكون أساس الاسم الصيني An-ku.

وتبقى المشكلة الاساس في مطابقة اسم ميسان مع Tsê-san أن WL يشير الى أنها كانت تابعة لـ Ta-ch'in في حين مازال الجدل قائماً حول ما اذا كانت ميسان ولاية تابعة لبارثيا أو مملكة مستقلة[٤٥]، وقد اهتم الرومان بالمنطقة في وقت مبكر قد يعود الى الفترة التي تواصل فيها الامبراطور جرمانيكوس مع ملك ميسان عام ١٧-١٨م عن طريق رجل تدمري اسمه الكسندروس[٤٦]، ويعود تاريخ التجارة التدمرية مع خاركس الى نفس الفترة (Inv. X, 7 = A.D. 28-88)، وفي عهد الملك اتامبيلوس الرابع (٥٤-٧٤م)، أرسلت خاركس مبعوثين الى روما (Pliny, NH VI, 140)[٤٧]، وكما رأينا، اعترف ملك ميسان بسلطة تراجان وأصبح تابعاً لروما عام ١١٦م. كما عُرف مهردات (١٣١-١٥١) خليفته كتابع للرومان بما أن التدمريين كانوا في كل مكان من المملكة خلال فترة حكمه[48]. كما كان سكان منطقة الخراكس متنوعين من مختلف المناطق، وتوصف ميسان في نشيد اللؤلؤةبأنها «ملجأ لتجار الشرق»[٤٩] وتثبت السجلات اقامة التدمريين والنبطيين واليهود ذوي الأصول الغربية في ميسان في ذلك الوقت[٥٠]، وهذا ما يفسر عودة Kan Ying بانطباعه حول كون ميسان ولاية تابعة للغرب ثم تعديل هذه الرواية فيما بعد.

٢- تقع Lü-fen شمال Tsê-san ويمكن الوصول اليها بالسفر «بحراً» خلال شهر اذا كانت الرياح مواتيةأو خلال ستة أشهر اذا لم تكن كذلك، ويقع غرب Lü-fen «جسر طائر» طوله حوالي ٢٣٠ li، كما تقع عاصمة Ta-ch'in على بعد ٢٠٠٠ li من Lü-fen (Hirth, p. 62-64).

ويظهر من الأوصاف أن السفر «البحري» هو السفر عبر الفرات الى منطقة الازروين، وهكذا طابق هيرث Lü-fen مع نيكو فوريوم (الرقة) الواقعة على نقطة التقاء البليخ مع الفرات، وهي مدينة مقدونية قديمة (Dio Cassius XL. 13.1)، ذكرها ايزودور الخاركسي في يومياته (Parthion Stations 1)، في حين يفترض شيراتوري أن Lü-fen هي مدينة الرها، المركز الرئيسي في منطقة الفرات الأعلى (Ruhu الآشورية الجديدة و Urho السورية و Urhay أو Ruhay العربية)، مما يعني أن لفظ fen قد اختلط مع hsi وهو خطأ شائع، فـ Lü-hsi (تلفظ hai) هي نقل واضح عن اسم Ruhay، الاسم العربي القديم[٥١]، ويتطابق وصف «الجسر الطائر» مع مرسى القوارب الشهير في سلوقية الفرات الذي بناه الاسكندر الأكبر (Pliny, NH XXXIV.150)، وبدلاً من الافتراض بأن الخيال قد لعب دوره أثناء ذكر طول الجسر في المصادر الصينية (٢٣٠ li = ٧٧ ميل)، يمكن أن نفترض أن Kan Ying قد خلط في سجلاته بين طول الجسر وبين المسافة بين سلوقية الفرات وشميساط التي ذكر پليني أنها ٧٢ ميل (NH V, 86). وقد نشطت التجارة من الهند والصين في بتني الواقعة شرق سلوقية الفرات

خلال القرن الرابع (Amm. Mar. XIV.3.3)، ولما كانت عاصمة Ta-ch'in واقعة على بعد ٢٠٠٠ li من Lü-fen فهذا يعني أنها يجب أن تقع في الجنوب أو الجنوب الغربي من مقاطعة Hai-hsi.

٣- تقع Ch'ieh-lan على بعد ٣٠٠٠ li غرب Ssū-t'ao، شرق النهر، ومنها تستطع الوصول الى ولاية Ssū-fu الواقعة الى الغرب على بعد ٦٠٠ li بجوار النهر (Hirth p.65-67).

يفترض هيرث أن Ssū-t'ao هي Sittake الواقعة على الضفة اليمنى لدجلة ومنها يقطع المرء الفرات غرباً الى Ch'ieh-lan التي يفترضها «منطقة في شرق سورية، قد تكون تدمر». فقد لاحظ شيراتوري أن لفظ Ch'ieh غالباً ما يختلط مع لفظ tan، وأن الاشتقاق tan يلفظ أحياناً tat أو tad، مما يبرر الافتراض أن Ch'ieh-lan هي خطأ كتابي عن كلمة Tad-lan القريبة من كلمة تدمُر التي اسقط منها الجزء مُ، ويعطي مثل هذا التصحيح سبباً لغوياً لمطابقة Ch'ieh-lan مع تدمر، نظراً لموقعها الجغرافي الموصوف في المصادر الصينية.

٤- وصفت Ssū-fu أنها تقع على بعد ٦٠٠ li من Ch'ieh-lan باتجاه الغرب على النهر الغربي في نقطة التقاء الطريق الجنوبي (من Lü-fen) مع الطريق الغربي (من Ssū-t'ao)، (Hirth p. 67)، وتبلغ المسافة من Ssū-fu باتجاه الشمال الشرق نحو Yü-lo ٣٤٠ li باتجاه البحر (p. 72-73).

يُعَقِّد عدم دقة المسافات والاتجاهات الموجودة في WL عملية معرفة هذه الولايات، ويقترح هيرث أن تكون Ssū-fu هي ايميسا (حمص) على العاصي، لكن پيليو يلاحظ أن لفظ Ssū غالباً ما يخلط مع اللفظ fan وهذا يعني أن الاسم يمكن أن يقرأ Fan-fu ويلفظ bam-buk مما يذكرنا بمدينة منبج (هيرابوليس) الواقعة على الطريق الرئيسة الواصلة انطاكية بالفرات باتجاه زوغما نقطة العبور على الفرات (Strabo, Geog., XVI.1.27 [748]; Amm. Marc. XXIII.2.6-3.1;لوحة بوتنغر)[٥٣]. ويشير پليني الى أن الشعب السوري المحلي يطلق على هذه المستوطنة اسم مابوج ويطلق عليها حالياً اسم منبج[٥٤]، ولما كانت النصوص الآشورية الجديدة قد سمت الموقع في سجلاتها الجغرافية باسم Ba-am-bu-ki، فإن هذا يعيدنا الى الاسم الآرامي مابوج[٥٥]، لكن عيب هذا الاقتراح أنه يغفل معلومات المصدر الصيني WL بشكل كامل.

يعطي شيراتوري اقتراحاً آخر دون محاولة تصحيح النص، فهو يقترح أن اللفظ القديم لـ Ssū-fu كان Zi-biuk أو tsi-biuk وهو نقل لاسم ديبشق المشوه عن دمشق (Damasqi المستخدمة في العصر الآشوري الحديث)[٥٦]، ومن مزايا هذا الاقتراح مطابقته للوصف الموجود في WL عن منطقة Ssū-fu و Ch'ieh-lan الجنوبية حيث يحدد موقع «الأرض الحجرية» (Chi-shih، «الحجارة المتجمعة»)وجنوبها يقع البحر العظيم ذو المرجان واللؤلؤ (p. 68) وقد افترض هيرث أن «الأرض الحجرية» هي جبال الشراه في الجزيرة العربية، لكن شيراتوري افترض أنها منطقة الحماد في صحراء سوريا[٥٧]. ويتطابق التعبير الصيني مع الحرَّة أو الصحراء البازلتية الممتدة جنوب تدمر ودمشق وكما يقول پليني، خلف الصحراء السورية التدمرية تقع مدينة البتراء ومنطقة الجزيرة العربية (V. 87) ولا شيء بينهما.

٥- تقع Hsien-tu على بعد ٦٠٠ li جنوب غرب Ssū-fu (Hirth p. 70-71)، ويعتمد موقع هذه الولاية على موقع Ssū-fu، وهكذا يرى هيرث أنها دمشق وپيليو أنها انطاكية العاصي بناء على افتراضه أن اللفظ القديم للاسم هو An-tuk[٥٨]، ويفترض شيراتوري أن لفظ Hsien-tu كان، خلال عهد السلالتين هان و Wei، hein-siuk أو hier-siuk أي القدس والتي اعتبرها پليني «أشهر مدينة في الشرق» (Pliny, NH, V 70)[٥٩]، وبالعودة الى تقرير Kan Ying، نجد أن معلوماته عن القدس قد أخذها دون شك من الجالية اليهودية في ميسان (T'iao-chih)[٦٠]، ولكن ما يجب ملاحظته أن القدس قد سجلت في المراجع الصينية الأخرى تحت اسم Yang-so-lo (Hirth p.204=Q,53) ولا يبدو ملائماً، من الناحية اللغوية، مطابقة Hsien-tu مع القدس وكذلك افتراض شيراتوري أن القدس تقع

على طريق التجارة بين دمشق وغزة، ومع ذلك، تتطابق المعطيات الجغرافية المذكورة في WL مع القدس.

٦- تقع Yü-lo شمال شرق Ssū-fu عبر النهر ومنها يمكن عبور النهر مرة أخرى الى Ssū-lo التابعة لملك An-hsi (بارثيا) والواقعة على حدود Ta-ch'in (p.74-76)، وتؤدي الطريق من Ssū-fu باتجاه الشمال الشرقي عبر النهر الى ولايتي Yü-lo و Ssū-lo الواقعتين على الحدود الشرقية لـ Ta-ch'in، ومما ورد في HHS أن Yü-lo تقع عبر النهر على بعد ٩٦٠ li شمال شرق Ssū-pin أي طيسفون المدائن (D22)، لكن المسافة بين A-man (Ekbatana) و Ssū-pin (طيسفون) هي ٣٦٠٠ li في نفس المصدر، ولما كانت هذه الأرقام تطابق المسافة بين مرو (Mu-lo) واقبتان (أي ٣٦٠٠ li) وبين اقبتان والمدائن، فلا شك أن المصادر الصينية قد خلطت بين هذه المسافات.

اذا أخذت عبارة وقوع Yü-lo عبر النهر من Ssū-pin بمعناها الظاهر، فستكون محاولة مطابقة Yü-lo مع مدينة اولوشيا ممتعة، فقد أسس الملك البارثي اولوش الأول (٥٢-٨٠م) هذه المدينة حوالي عام ٧٠م، ويفترض أن موقعها الأصلي على الفرات الأدنى جنوب بابل، ربما قرب الكوفة على الضفة الغربية لنهر الهندية أحد فروع الفرات، رغم وجود من يعارض ذلك[٦١]، لكن المعارضين اللغويين لذلك قلة[٦٢]، ورغم أن اولوشيا ذات جذور بارثية الا أنها ترتبط مع العالم الروماني، فالكتابات التدمرية تثبت وجود حركة قوافل بين الواحة السورية ومدينة اولوشيا بين ١٤٠ و٢٤٧م وربما قبل ذلك[٦٣]، وفي عام ١٠٨م بنى أحد التدمريون معبداً للرب بل في اولوشيا ثم قام سواد بن بوليدع، التاجر التدمري الشهير، ببناء معبد للديانة الرومانية فيها عام ١٤٦م[٦٤]، ويبدو افتراض وقوع اولوشيا تحت النفوذ الروماني خلال زيارة Kan Ying الى الخليج العربي عام ٩٧م منطقياً، ولا شك أن نشاط التجار العرب والأجانب الغربيين في اولوشيا قد ترك الانطباع بوقوع هذه المدينة تحت سيطرة Ta-ch'in أو على الأقل وقوعها ضمن منطقة تأثيرها.

يفترض شيراتوري أن WL يعكس الوضع السياسي خلال فترة حكم هدريان وانطونينوس التقي أي في الفترة بين عامي ١١٧ و١٦١م[٦٥]، ومما لا شك فيه أن الوضع السياسي في منطقة الرافدين قد تغير بعد حملة تراجان البارثية عام ١١٦م، وقد استعادت بارثيا بعض خسارتها فيما بعد، لكن المدن الأخرى بقيت مستقلة أو تابعة لروما، فقد ترك هدريان بعض المدن على طول دجلة مثل طيسفون المدائن (Ssū-pin) وسلوقية (Ssū-lo) وسيتاكي (Ssū-t'ao) لكنه احتفظ ببعض الولايات المهمة على طول الفرات لأسباب سياسية وتجارية، وعلى أساس ذلك، يفسر شيراتوري لماذا تظهر Yü-lo (اولوشيا) و Tsê-san (ميسان) وكأنها ولايات مستقلة عن Ta-ch'in في WL ، في حين تبدو الولايات الواقعة على دجلة تابعة لـ An-hsi، وخلال الفترة التي استغرقها الوفد الروماني المزيف المؤلف من التجار للوصول الى فيتنام عام ١٦٦م، تغير الوضع السياسي، فخلال حكم الامبراطور لوسيوس فيروس احتل الرومان سلوقية وطيسفون المدائن الواقعتين على دجلة (Dio Cassius LXXI.2.3; cf. HA, Verus 8)، ويعتقد شيراتوري أن المعلومات الموجودة في WL التي لا تبدو مطلعة على التبدلات الجديدة، تعكس الوضع السياسي السابق للمنطقة، خلال حكم هدريان وانطونينوسَ التقي، وهكذا فمن الممكن جداً أن يعكس WL الوضع السياسي لمنطقة بلاد الرافدين عام ٩٧م خلال زيارة Kan Ying بدل الافتراض السابق بأنه قد تم تعديل تقريره.

LI-KAN والبتراء:

دعيت منطقة Ta-ch'in رسمياً باسم Li-kan، كما ورد في WL، مفترضاً أن أصل الاسم قد ارتبط مع حملة Chang Ch'ien عام ١٢٦ ق.م، وقد ظهر هذا الاسم في HHS بشكل Li-chien وقُبل على أساس أنه الاسم الأصلي، وقد طابق هيرث بين Li-kan (أو Li-chien) مع البتراء عاصمة مملكة الأنباط، في الفترة الهيلينستية الرومانية. والمعروفة باسم رقيم بين الشعوب السامية في المنطقة[٦٦]، وقد وافق على ذلك قلة من الاختصاصيين بالصينية في حين آثرت الأغلبية منهم اعتماد وجهة النظر القائلة بأن اسم Li-kan هو اختصار محرف لاسكندرية مصر، وقد كان شيواتوري أول من نادى بذلك الا أن اقتراحه لم يعرف الا بعد ترجمة

منشوراته اليابانية الى الانكليزية[٦٧]، كما قام پيليو بتقديم نفس الفكرة التي وجدت صدى[٦٨] لها لدى الكثيرين[٦٩]. لكن فحصاً دقيقاً لها يظهر وجود ثغرات كثيرة فيها.

تعتمد الفرضية الخاصة بالاسكندرية على مجموعة من الفرضيات اللغوية والتاريخية القابلة للمناقشة، فقد حاجج شيراتوري بأنه يمكن ايجاد العناصر الاساسية في اسم Alexandria في اسم Li-kan أو Li-chien مثل: (A)LEK(s)AN(dria)، لكنه يهمل عناصر أخرى في الاسم، وقد فسر بيليو ذلك مفترضاً أن اللفظ (-Ks) بالاغريقية يمكن أن يصبح -k- تماماً مثلما يتحول اسم Alexandria الى (الـ) اسكندرية [Al-] Iskanderiyah، كما يعتقد كل من شيراتوري وپيليو أن اسكندرية مصر هي المدينة المتوسطية الأكثر احتمالاً، تاريخياً، لتكون Li-chien لدورها المهم في التجارة مع الشرق، لكن هذه الفرضية غير مقنعة لغوياً ولا تاريخياً فپيليو نفسه لم يكن متأكداً من فرضيته إذ قال بكلماته: « أنا لا أجزم بأن Li-kien هي الاسكندرية، لكن هذه الفرضية تبدو لي أكثر منطقية من أي فرضية أخرى، وهي لا تتعارض مع أي من المعطيات المعروفة وسأكون أسعد اذا تمت مناقشتها ». وبمناقشة هذه الفرضية نتبين عدم وجود الصوت الابتدائي a ولا الوسطي المهم s[٧٠]، ويتفق المختصون بالصينية، بشكل عام، على أن الشكل wu كان يلفظ a في فترة هان، فمثلاً توجد أسماء مثل Wu-ch'ih-sam (Hirth p. 9 and 14)، و -Wu-i shan-li (cf. D 12) في WL، وتدل عادة على اسكندرية مصر واسكندرية آسيا (هراة)، وكلتاهما احتفظتا بالصوت a[٧١]، كما يمثل الشكل san أو chan في كلا الاسمين الصوت s الوسطي كما في الشكل المحرف Iskander[٧٢]، وتكتب النصوص الصينية العائدة للقرن الثالث الميلادي اسم الاسكندرية -A-li san، وتستخدم نصوص Pali الشكل Alasanda للاسكندرية و Alikasunari للاسكندر[٧٣]، وتصعب الأمثلة السابقة امكانية الاقتناع بان Li-kien أو Li-kan هي الاسكندرية.

تعيدنا هذه المعضلات الى اقتراح هيرث بأن -Li kan أو Li-chien هي نقل لاسم رقيم وهو الاسم الشرقي للبتراء، ويعترض پيليو لغوياً على ابدال حرف النهاية n بـ m، لكن خلط هذين الحرفين ظاهرة معتادة في بعض المصادر الصينية ويفترض پيليو نفسه، أثناء مناقشته لاسم Fan-fu، أنه Bambyke بابدال Bam بـ n، كما كان اعتراضه على أنه كيف أمكن للمراجع الصينية تمثيل كامل منطقة البحر المتوسط بـ « هذه المدينة الريفية المحلية »، ولذلك رفض فرضية هيرث، لكن الاعتراض على تفسيرات هيرث اللفظية للمصطلحات الجغرافية يبدو قاسياً غير منصف خاصة وأن أغلب الخطوات التي اتبعها لتفسير المناطق في Ta-ch'in كانت مقبولة مثل An-hsi (بارثيا)، Mu-lu = مرو، Hakatompylos = Ho-tu (Dâmegân)، -A man = Ekbatana (همذان، Hagmatana الفارسية القديمة)، Ssū-pin طيسفون. ولن نقول أن افتراضات هيرث غير قابلة للنقاش أو الخطأ، إلا أن طريقته في تفسير الألفاظ تقف على أساس متين.

يعاني تقرير Chang Ch'ien عن رحلته عام ١٣٨–١٢٢ ق.م من نقص في المعلومات حول منطقة المتوسط ومملكة بطليموس في مصر، اذ لم يتمكن التجار الذين قابلهم في فرغانة وبكتريا من تزويده بمعلومات مؤكدة عن منطقة الغرب البعيدة، اضافة الى أن قوة مملكة بطليموس كانت آخذة في الزوال في تلك الفترة، وكانت أغلب مناطق سوريا وفلسطين قد خضعت للمملكة السلوقية أو استقلت مثل السلالة الخشمونية اليهودية ومملكة الأنباط في البتراء، كما لا توجد أي معلومات عن دور الاسكندرية في التجارية في المحيط الهندي أو الخليج العربي[٧٤]، إذ اضطر بلاط بطليموس في عامي ١١٨–١١٦ ق.م لارسال اودوكسوس السيزيكي مع عابر سبيل هندي لاكتشاف الطريق البحرية الى الهند (Strabo, Geog. 2.3.4 [98-100] = FGrH no. 87, F 28.4; cf. Pliny NH II.168)[٧٥]، كما أن الافتراض أن « مشعوذي Li-kan » المذكورين في المصادر الهانية المبكرة (Shih chi ch. 123 and CHS 96A.27b - Hirth A-B)، لا بد وأن يكونوا من الاسكندرية، يمكن أن يكون خاطئاً لأن السوريين عرفوا هم أيضاً بمثل هذه المهارات (cf. HA, Verus 9)، فقد عرفت هذه المهارات عند الصينيين

ولم تكن محصورة بمملكتي Li-kan أو Ta-ch'in[٧٦]. وهكذا تتقوض فرضية مطابقة Li-kan مع الاسكندرية ليس لغوياً فحسب بل تاريخياً أيضاً.

أما الافتراض بأن Li-kan هي البتراء فيمكن أن يدعم بالرجوع الى المصادر الصينية، فأثناء الحديث عن الطريق البحرية الى Ta-ch'in، يشير WL الى أن المرء يتابع من «أسفل المنطقة» مباشرة الى الشمال الى مدينة Wu-tan (Hirth p.10)، ويطابق هيرث Wu-tan مع الميناء المصري ميوس هرموس ومنه تنطلق طريق برية تصل الى قفط على النيل ثم شمالاً الى الاسكندرية ([Wu]-Ch'ih-san, p. 9)، لكن شيراتوري يعتقد أن «أسفل البحر» يمكن أن يفهم أنه رأس البحر الأحمر الشمالي أي خليج العقبة مما يعني أن Wu-tan هو محاولة للفظ اسم العاصمة النبطية البتراء[٧٧]، ولما كان المعنى الحرفي للشكل الصيني Wu-tan هو «الأحمر الغامق» فهذا يعني أنه اشارة الى البتراء «المدينة الحمراء الوردية القديمة قدم الزمن» كما وصفها Dean Burgon في قصيدته الشهيرة، كما أن الاسم الشرقي القديم للبتراء: رقيم يمكن أن يعني «الحجارة الرملية الحمراء»، وهكذا يحتمل اسم Wu-tanمحاولة لوصف مدينة البتراء أكثر من محاولة نقل اسمها، ومع ذلك نجد أن لفظ الاسم يمكن أن يكون A-tan أو A-dan وهو ما يمكن أن يمثل المنطقة القديمة ايدوم التي كانت البتراء مدينتها الرئيسة[٧٨]، وبذلك يمثل اسم Wu-tan وصفاً للبتراء ونقلاً لاسمها في نفس الوقت، وعلى الرغم من اختفاء اسم ايدوم خلال الفترة الهلنستية لكنه من الممكن أن يكون قد بقي في بعض المناطق[٧٩]، ويظهر مما سبق أساس متين لافتراض أن Wu-tan هي البتراء وأنها أكبر المناطق العمرانية قرب السواحل الشمالية للبحر الأحمر.

يتضح الدور الذي لعبه الأنباط والبتراء في التجارة الدولية مع الشرق خلال فترة هان[٨٠]، وخلال زيارة Chang Ch'ien عام ١٢٦ ق.م، كانت البتراء قد ظهرت كمركز تجاري مهم بين المتوسط والشرق وفي عام ١٢٩ ق.م تم تكريم مبعوث من بريين اسمه موشيون بن قدموس لمهامه الدبلوماسية العديدة في المتوسط بما فيها زيارته للاسكندرية و«البتراء في المنطقة العربية»[٨١]، وقد أشار الجغرافي آغا ترجيدس المعاصر لذلك الوقت الى الجرهيين من الخليج العربي والمينائيين من جنوب شبه الجزيرة العربية والى عرب آخرين نقلوا بضاعتهم الشرقية عبر البحر الأحمر وخليج العقبة الى البتراء[٨٢]، ولا شك أن مثل هذه العلاقات التجارية قد وجدت في وقت أبكر، فقد ذُكر البخور الجرهي والمينائي في الأرشيف البطلمي من القرن الثالث الخاص بزينون، وحتى في أواخر القرن الثاني حكمت البتراء موانئ على البحر الأحمر لأغراض تجارية (PME 19)، ويكفي هذا الدليل لاثبات تسمية Chang Ch'ien البتراء باسم Li-kan أو Li-kien سيما وأن الأنباط حكموا شمال شبه الجزيرة العربية من حوران حتى الحجاز والمناطق الغربية في دلتا النيل بمصر، كما وصلوا بتجارتهم حتى الشرق في الخليج العربي.

تبدو العلاقة بين النبطيين والخليج العربي واضحة على عكس ما يفترض عادة، كما يبدو مؤكداً، لأسباب ذكرتها في مكان آخر، أن أصل الأنباط كان جوار الكويت والخليج العربي[٨٣]، وعلى رغم هجرتهم غرباً باتجاه البتراء خلال الفترة الاخمينية الفارسية الا أن الدلائل الأدبية والأثرية تؤكد ارتباطهم القوي بوطنهم الأم، فيذكر بليني أن التجار الأنباط سافروا عبر شمال الصحراء العربية باتجاه دومة الجندل (واحة الجوف) الى مدن فرات وخاركس على الخليج العربي (NH VI.144 -146)، وتظهر الدلائل الأثرية الوجود النبطي في منطقة الخليج العربي، فالاكتشافات الحديثة أظهرت، اضافة الى الكسر النبطية الصغيرة من Tnag في القرن الأول قبل الميلاد، نقوداً نبطية متعددة تعود الى فترة حكم مالك الأول (٣٤-٣٢ ق.م) والحارث الرابع (٥-٤ ق.م)[٨٤]، وقد عثرت البعثة الأثرية الأميريكية في عمان على كسر فخارية نبطية متميزة موجودة في متحف سميثونيان في واشنطن العاصمة[٨٥]، ومن ناحية أخرى، لا تظهر لقى مشابهة من الشرق الأقصى في البتراء، وحتى التأثيرات المعمارية والفنية الهندية التي تم افتراضها في البتراء يجب أن تؤخذ بحذر، ولا يبقى مع ذلك، أي مجال للشك في الدور التجاري المهم الذي لعبه الأنباط في الخليج العربي خلال الفترة الهيلينيستية المتأخرة

والرومانية المبكرة.

تشكل هذه الأدلة قاعدة لاحياء نظرية هيرث الأساسية في أن Li-kan هي البتراء، ويمكن من وجهتي النظر اللغوية والتاريخية، لأسباب كثيرة، اعتماد هذه المطابقة، وقد قام الأنباط في البتراء بتركيز أسس دولتهم كقوة سياسية مؤثرة في المشرق قبل بعثات Chang Ch'ien، وتحكموا بطرق التجارة من الخليج العربي الى حدود مصر ومن شمال الحجاز الى جنوب سورية، وتعطي قضية العرب مع الملك سباسينيس على حدود خاركس (Pliny, NH VI, 139) تفسيراً عن سبب شهرة مملكة الأنباط في النصوص الصينية كما تفسر العلاقات الوثيقة المبكرة بين T'iao-chih و Li-kan في سجلات سلالة هان (CCH 96A, 27b)، كما يمكن أن تكون هذه المعطيات الجغرافية قد تغيرت في الفترات اللاحقة[٨٧]، فمن الجائز جداً أن اسم Li-chian الخاص بـ Chang Ch'ien من عام ١٢٦ ق.م قد عوض باسم Ta-ch'in الخاص بـ Kan Ying عام ٩٧م. مما يعكس أهمية دور روما في معظم المشرق ودائرة النفوذ البارثي في ذلك الوقت، كما يلاحظ أن Li-kan و Wu-tan لم تكونا تابعتين لـ Ta-ch'in في تقرير Kan Ying، وفي هذا الوقت كانت مملكة الأنباط مستقلة ولم تُلحق بروما الا عام ١٠٦م، واذا صدقت هذه النظرية فهذا يعني أن تدمر (Ch'ieh-lan) والبتراء (Wu-lan) قد ظهرتا في نفس السجلات، وهنا يمكن اعتبار تقرير Kan Ying عام ٩٧م كعرض مؤكد لطرق التجارة من الخليج العربي عبر تدمر والبتراء يظهر أهمية هاتين المدينتين التجاريتين.

* راجع التعليقات والمراجع في البحث الأصلي بالقسم الاجنبي.